الجريمة الكاملة



"كلانا مظهر ُ للناس بغضاءً/ وكلَّ عند صاحبه مكين*"

في ليل مثل هذا الليل، خرجت ليلى من خيمتها، كانت ترتدي النقاب، لكن قيسا ً-الذي يراقب الخيمة كلّ ليل- عرفها رغم نقابها.. انتظر حتى مرت من أمامه وعبرته، ثم تابعها بنظره حتى اختفت، وأسرع خلفها..

سأله المحقق: لما أسرعت خلفها؟!

قال قيس: لأعلم ..

استمر قيس في تتبع خطوات ليلى التي تتركها على رمال الصحراء، كانت تبتعد عن خيامهم.. ربما لم يلاحظها القمر لذلك لم يتبعها، لكن قيسا ً سار على خطوها.. كان شكه كما يبدو في محله.. فليلى تقترب بالخطوات من خيمة بن ورد.. سأله المحقق: من أين لك بخطوات ليلى حتى تدعى أنَّ هذه الآثار لها..؟!

قال قيس: أعرفها

على باب الخيمة فقدت خطوات ليلى انتظامها، ربما لأنها في لحظة اللقاء بابن ورد لم تصل لصدره لتلقى عليه ثقل الجسد فخرجت مشاعرها المضطربة عبر الخطوات.. قيس تفحص الأثر، ثم نظر إلى القمر الغافل عنها.. كان كلِّ ما يريده شاهدا ً.. لعلِّ العالم من بعده يعرف سرهما

سأله المحقق: كيف...؟!

قال قيس: بالكلمات ..

اقترب من الخيمة، كان الصمت يلف الصحراء، كأنه متواطئ، مشارك في جريمة لا يعرف بها إلا قيس. قطع الصمت فجأة ضحكة تعالت حتى أنها دهنت صمت الصحراء بالبهجة، رمل الصحراء بالأخضر، فلفتت نظر القمر الغافل فالتفت ناحيتها، ضوؤه المرمى على خيمة بن ورد عكس طلين متقا بلين عاريين كانا على وشك أن يبوح أحدهما بسره للآخر. رأى قيس الضوء ولمح من خلاله الشبحين. وتنبأ بالسر الذي سوف يباح به.. لكنه لم يتحرك. كأنه أصيب بالشلل. فترك نفسه ليسقط على الرمال وانتظر..

سأله المحقق: ماذا كنت تنتظر؟!

قال قيس: معجزة..

تحركت الطلال المتقابلة.. لم يعودا طلين.. فقد اجتمعت معهما شياطين الجن والإنس.. امتلأت الخيمة بالحركة... بالرياح العاصفة.. الأنات التي تشبه صوت ريح الصحراء.. بالأنفاس اللاهبة الحارقة... وصل صهدها إلى وجه قيس.. فأخفى عينيه بيده وحاول ألا يستعيد المشهد مرة أخرى.. لكنه في داخله كان يريد أن يتأكد من شيء واحد.. أن ما سيفعله سيحفظه التاريخ.. فرفع وجهه إلى القمر.. كان القمر غارقا وي بحر الاشتهاء والتمني، تتقاذفه أمواج الرغبة الجامحة؛ فبدا بوجهه الأحمر كأنه يشتعل... حزن قيس وتمنى في داخله اختفاء الشاهد؛ لعله يمحو من داخله صورة — سيحفظها التاريخ - ليلى العارية المنعكسة طلالا على جدران الخيمة..

وكان قيس صامتا ..

لم يجد قيس بردا من التحرك، فالشاهد لم يعد شاهد عدل.. ربما أغوته هو الآخر شفتا ليلي.. تحرك في انجاه الباب مقاوما ذلك الإحساس الذي يحاول أن يهزمه.. "إنها ليلي.. الحب والحياة.. الشعر والكلمات.. السعادة المقتنمة والفرصة الضائعة "... على الباب توقف ليتأكد أن " القمر مازال حاضرا.. أن " الضوء المتسلل للخيمة ليس وهما من خياله.. أن " الأصوات مازالت تتوالد وتتكاثر في داخلها.. أن " المرس حجز أنه حيى لم يقتله بعد ما شاهده مرسوما على صفحة الكون،على قماش الخيمة.. اندفع داخلا ".. الرمل حجز قدميه لحطات كانت كافية كي برى المشهد ملء العين.. يتأمله وينقله لعقله الغافل الساهي المغيب.. غيره كان سيصاب بالجنون، لكنه في لحظتها تواردت على رأسه أبيات الشعر وموسيقاه تعزف ألحانا "عسل لأبيات تسكنها الخيانة.. لم يكن يملك الورقة والقلم.. ولم يكن عنده الوقت ليكتب كما اعتاد دائما " على رمال المحراء.. فهجم على ليلي.. أخرج الفزع بن ورد عن حاله.. فأسرع بجلده هاربا ".. كان يعبر القصيدة التي تطارده الآن.. "عرضت على قلبي العزاء فقال لي/ من الآن فايأس لا أعزك من صبر "** .. كان يحاول أن يحولها لواقع، فيضغط يقبضته التي تنطق الحروف على رقبة ليلي.. فتخرج الأنفاس منها بحار شعر وقوافي تكمل له قميدته.. حتى وصل بينه الأخير.. "إذا بان من تهوى وأصبح نائبا/ فلا شيء أجدى من حلولك في القبر "**.. الأنفاس تتلاحق وتتوقف.. يسابق ليلي وتسابقه... توقفت الحركة.. انكفأ بجانبها.. لم يتح للقمر أن يرى وجه ليلي، ولا أن يلمح طلها لأنه كان منشغلا "توقفت الحركة.. انكفأ بجانبها.. لم يتح للقمر أن يرى وجه ليلي، ولا أن يلمح طلها لأنه كان منشغلاً بهذا الفار عاربا " كأنه خارج لتوه من رحم أمه.. مغطى بفضلات الميلاد.

^{*} البيت لليلي

^{**}البيتان لقيس